كتاب أسرار الصلاة

لابن القيم

اللقاء الثاني

حضور القلب في الصلاة هو سبيل السعادة والنجاة، وبه يستفيد المرء من صلاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن الصلاة فيها دفع المكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه".

وصاحب القلب الحاضر هو الذي يرتاح للصلاة، وينشرح قلبه فيها، فحياته وراحته فيها؛ ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- لبلال: "أرحنا بالصلاة"، وصلاةٌ بلا خشوع، كجسد بلا لحمٍ وضلوع.

بعد جهد جهيد، وتعب كبير، يحتاج إلى الراحة، فيبحث عنها في الصلاة، أرحنا بالصلاة، إنه يجد فيها راحة، وطمأنينة، وسكون، يدخل في الصلاة فينسى هموم الدنيا، وينشغل عن متاعبها، إنه يفرغ قلبه لمناجاة ربه، فلا يبقى فيه مكان لهموم الدنيا ومشاغلها، إنه يجد فيها راحة لأن قلبه قد امتلأ محبة لله وتعظيماً وإجلالاً، لذا فإنه يحب مناجاته، ويجد فيها راحة للنفس، وقوة للقلب، وانشراحاً للصدر، وتفريجاً للهم، وكشفاً للغم.

قال بعض السلف: الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك الملوك، فما الظن بمَن يُهدي إليه جارية شلّاء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة حتى يُهدي إليه جارية ميتةً بلا روح؟ فكيف بالصلاة؟ يُهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه -تعالى- والله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وليس من العمل الطيب صلاةٌ لا روح فيها، كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبدٍ لا روح فيه.

إذا أصلح العبد هذا الموقف صلح وسهل عليه الوقوف بين يدي الله، فالعبد له موقفٌ في الدنيا وموقفٌ في الآخرة. في الدنيا: بين يدي ربه في الصلاة، وفي الآخرة: بين يدي ربه في الآخرة. فمَن قام بحق الموقف الأول هوّنَ عليه الموقف الآخر، ومَن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شُدد عليه ذاك الموقف، فالعبد ليس له من صلاة نافعة، وفي الآخرة رافعة، إلا بقدر ما تكون خاشعة.

📄قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "والعبد وإن أقام صورة الصلاة الظاهرة فلا ثواب إلا على قدر ما حضر قلبه فيه منها".

قال–ﷺ–: "إنَّ الرَّجلَ لينصرِفُ، وما كُتِبَ لَه إلَّا عُشرُ صلاتِهِ تُسعُها ثُمُنُها سُبعُها سُدسُها خُمسُها رُبعُها ثُلثُها، نِصفُها" صحيح أبي داود

📝والجوارح تبعٌ للقلب، إذا خشع خشعت، ولما رأى أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه– رجلا يعبث في صلاته قال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه".

📝والآن نكمل قراءة كتاب أسرار الصلاة للعلامة ابن القيم رحمه الله واسكنه الفردوس الأعلى من غير حساب ولا سابق عذاب... وهذا هو اللقاء الثاني

📣عبودية التكبير

✉وأُمر بأن يستقبل القبلة بيته الحرام بوجهه، ويستقبل الله عز وجل بقلبه، لينسلخ مما كان فيه من التولي والإعراض، ثم قام بين يديه مقام المتذلل الخاضع المسكين المستعطف لسيِّده عليه، وألقى بيديه مسلّما مستسلما ناكس الرأس، خاشع القلب مُطرق الطرف لا يلتفت قلبه عنه طرفة عين، لا يمنة ولا يسرة، خاشع قد توجه بقلبه كلِّه إليه.

✉وأقبل بكليته عليه، ثم كبَّره بالتعظيم والإجلال وواطأ قلبه لسانه في التكبير فكان الله أكبر في قلبه من كلِّ شيء، وصدَّق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله تعالى يشغله عنه، فإنه إذا كان في قلبه شيء يشتغل به عن الله دلّ على أن ذلك الشيء أكبر عنده من الله فإنه إذا اشتغل عن الله بغيره، كان ما اشتغل به هو أهم عنده من الله، وكان قوله " الله أكبر " بلسانه دون قلبه ؛ لأن قلبه مقبل على غير الله، معظما له، مجلا، فإذا ما أطاع اللسان القلب في التكبير، أخرجه من لبس رداء التكبّر المنافي للعبودية، ومنعه من التفات قلبه إلى غير الله، إذا كان الله عنده وفي قلبه أكبر من كل شيء فمنعه حقّ قوله: الله أكبر والقيام بعبودية التكبير من هاتين الآفتين، اللتين هُما من أعظم الحُجب بينه وبين الله تعالى.

فَكَلِمَةُ (اللهُ أَكْبَرُ) مَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعالى أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الوُجُودِ، وَأَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ بِالبَالِ، أَو يَتَصَوَّرُهُ الخَيَالُ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» رواه أبو داود

وَإِذَا عَرَفَ العَبْدُ هَذَا وَاعْتَقَدَهُ، عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا كَبُرَ يَصْغُرُ عِنْدَ كِبْرِيَاءِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، وَعَلِمَ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّ كِبْرِيَاءَ الرَّبِّ وَجَلَالَهُ وَعَظَمَتَهُ وَجَمَالَهُ وَسَائِرَ صِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُحِيطَ بِهِ العُقُولُ، أَو تَتَصَوَّرَهُ الأَفْهَامُ، أَو تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ وَالأَفْكَارُ؛ فَاللهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

معنى "الله أكبر"؟ " الله أكبر من كل شيء ذاتًا وقُدرةً وقدرًا، وعزة ومنعَةً وجلالاً وهذه المعاني العِظام تُعطِي المؤمن الثقةَ بالله، وحُسن الظن به، فلا تقِفُ في حياته العقَبَات، ولا يخافُ من مُستقبَل، ولا يتحسَّر على ما فات "اللهُ أَكبَر، اللهُ أَكبَر، اللهُ أَكبَرُ كَبيرا " نَقولها عَقيدةً فِي كلِّ وقتٍ وَحينٍ، نُرَدِّدُها إنكسارًا بين يديَّ ربِّ العَالَمِين، وتأسيًّا بِهدي سَيد المرسلين ﷺ.

هذه الكلمة التي فتحت لها أبواب السماء، روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟) قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ ".

قَالَ الشَّيخ عَبدُ الرزاق البدر حَفظهُ اللَّه: وَالتَكبِيرُ هُوَ تَعظِيمُ الرَبِّ تَبَارَكَ وَتَعالَى وَإِجلَالِهِ، وَاعتِقَادِ أَنَّهُ "لَا شَيء أَكبَر وَلَا أَعظَم مِنه"، فَيَصغُرُ دُونَ جَلَالِهِ كُلُّ كَبِيرٍ، فَهُوَ الذِي خَضَعت لَهُ الرِّقَابُ وَذلَّت لهُ الجبابرَةُ، وَعنت لَهُ الوُجوه، وَقهر كُلَّ شَيءٍ، وَدَانت لَهُ الخَلائِقُ، وَتضاءلت بَين يَديهِ وَتحتَ حُكمِهِ وَقهرِهِ المخلُوقاتُ. فقه الأدعية والأذكار صـ ٢٥٠

بتكبير الله وتعظيمِه تُحلُّ الكُروب، وتزولُ الخُطوب، وتُرفعُ الهُموم، وتنقشِعُ الغُموم، بتكبير الله وتعظيمِه يصفُو العيش، ويُشفَى الداء.

لو أننا كلما نادى بنا الأذان وكبر وأدركنا كم أن الله أكبر! أكبر من الصعوبات التي قد تكسرنا، وأكبر من العقبات التي تواجهنا، والأحزان التي تهددنا، وأكبر من خوفنا من الغد! وأكبر من المرض

الذي يكاد يهلك من نحب! الأمل بالله أكبر من كل الصعاب لو أننا نثق بذلك! لما ضاقت بنا الأرض لضيق الحال ولما شكونا بعد المنال!

📝الله أكبر من همومنا ومن أوجاعنا ومن ضعفنا ومن مرضنا ومن قلة حيلتنا... الله أكبر من الدنيا وما فيها.

📣عبودية الاستفتاح

✉فإذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك" وأثنى على الله تعالى بما هو أهله، فقد خرج بذلك عن الغفلة وأهلها، فإن الغفلة حجاب بينه وبين الله.

✉وأتى بالتحية والثناء الذي يُخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيما له وتمهيدا، وكان ذلك تمجيدا ومقدمة بين يدي حاجته.

✉فكان في الثناء من آداب العبودية، وتعظيم المعبود ما يستجلب به إقباله عليه، ورضاه عنه، وإسعافه بفضله حوائجه.

📝دعاء الاستفتاح هو دعاء يذكر قبل الصلاة سواء كانت فريضة أو نافلة ويكون بعد تكبيرة الاحرام وقبل قراءة سورة الفاتحة وحكم ذلك الدعاء هو سنة مندوبة وليس بواجب ومن لم يتذكر قول ذلك الدعاء قبل الصلاة فلا إثم عليه، وصلاته صحيحة ومن أصح الاستفتاحات، وأقصرها، وكان يواظب على قرائتها الرسول الكريم والصحابة هي (سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحَمدِكَ، وتبارَك اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلهَ غيرُكَ) وكان عمر رضي الله عنه يعلمه للناس.

📝وتتمثل أهمية أدعية الاستفتاح في أنها تزيد من الحالة الروحانية والإيمانية قبل الدخول في الصلاة كما أنها تجعل المؤمن أكثر تركيزاً في الصلاة ويبعده عن همزات الشياطين الذي يحاول كثيراً في إبعاده عن الصلاة، ويجعله يخطأ كثيراً، ويقوم بإعادة الصلاة أو يسهو عن قراءة الفاتحة أو عن أداء ركعة أثناء الصلاة.

هناك بعض الأدعية تجعل المؤمن أكثر خشوعاً، وخضوعاً لله، واعترافاً بالذنب، وتوبةً إليه مما يجعله يبتعد عن التكبر والتفاخر ويحرص على أداء الصلاة صحيحة كما كان يصليها الرسول عليه الصلاة والسلام، والصحابة، والتابعين.

في هذه الأدعية كلمات تدل على عظمة الله عز وجل في خلقه كما تحتوي على أسماء الله الحسنى والاعتراف بوحدانيته وعظمة قدره ، وإيماننا به ، وبكل ما أمرنا به وهذا دليل على إيمان العبد بربه ، وتعظيم شأنه ، وقدره والاعتراف بعبوديته وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا كبَّر سكَت بَيْنَ التَّكبيرِ والقراءةِ فقُلْتُ : بأبي أنتَ وأُمِّي أرأَيْتَ سكَتاتِكَ بَيْنَ التَّكبيرِ والقراءةِ أخبِرْني ما تقولُ فيها ؟ قال : (اللَّهمَّ باعِدْ بَيْني وبَيْنَ خَطاياىَ كما باعَدْتَ بَيْنَ المشرِقِ والمغرِبِ اللَّهمَّ نقِّني مِن خَطاياىَ كما يُنقَّى الثَّوبُ الأبيضُ مِن الدَّنَسِ اللَّهمَّ اغسِلْني مِن خَطاياىَ بالماءِ والثَّلجِ والبَرَدِ)).

حال العبد في القراءة والاستعاذة

فإذا شرع في القراءة قدَّم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فإنه أحرص ما يكون على خُذلان العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته، فهو أحرص شيء على صرفه عنه، وانتفاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطَّله، وألقى فيه الوساوس ليشغله بذلك عن القيام بحق العبودية بين يدي الرب تبارك وتعالى، فأمر العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه وليحي قلبه، ويستنير بما يتدبره ويتفهمه من كلام الله سيِّده الذي هو سبب حياة قلبه، ونعيمه وفلاحه، فالشيطان أحرص شيء على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.

قال-ﷺ-:"إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وله ضُرَاطٌ، حتَّى لا يَسْمع التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حتَّى إِذَا ثُوِّبَ بالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ ونَفْسِهِ، يقولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِما لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى". صحيح البخاري

✉ولما علم الله سبحانه وتعالى حَسَد العدو للعبد، وتفرّغه له، وعلم عجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه، ويلتجئ إليه في صرفه عنه، فيكتفي بالاستعاذة من مؤونة محاربته ومقاومته، وكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو، فاستعذ بي أعيذك منه، واستجر بي أجيرك منه، وأكفيكه وأمنعك منه.

📝معنى الاستعاذة: ألتجئ إلى الله، وأعتصم به من الشيطان المطرود عن كل خير، أن يضرّني في ديني أو دنياي أو يصدّني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.

📝فإذا أراد العبد أن يكلمه ربهُ، فعليه أن يستعدّ لذلك بقلبِه وروحِه ومشاعرِه، وإنما يتأتى له ذلك بتنقيّة السمع والبصر والفؤاد من سُلطة الشيطان؛ فيطردَهُ من قلبه، ومن حياته حتى ينتفع بكلام مولاه.

📝 الحكمة من الاستعاذة: تطهير القلب من كل ما يشغل عن الله، ودخول العبد في حصن الله الحصين، وحرزه المتين، فيعصم من الشيطان الرجيم، فإذا استعاذ المؤمن مُقرًا بضعفه وعجزه، ومعترفًا بقدرة ربه عز وجل، وأنَّه الإلُه الأوحدُ والملكُ العظيمُ المتفردُ القادر على دفع ضرر الشيطان وكيده ووسوسته إذا اعتقد ذلك بصدق ويقين حفظه وعصمه رب العالمين.

نصيحة ابن تيمية لابن القيم

✉وقال لي شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونوَّر ضريحه يومًا: إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته، ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب، ويكفيكه.

✉فإذا استعاذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم أبعده عنه.

✉فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة وشاهد عجائبه التي تبهر العقول، واستخرج من كنوزه وذخائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكان الحائل بينه وبين ذلك، النفس والشيطان، فإن النفس منفعلة للشيطان، سامعة منه، مطيعة فإذا بَعُدَ عنها، وطُرد ألَمَّ بها الملَك، وثبَّتها وذكّرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

✉فإذا أخذ العبد في قراءة القرآن، فقد قام في مقام مخاطبة ربِّه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرّض لمقته وسخطه، بأن يناجيه ويخاطبه، وقلبه معرِض عنه، ملتفت، إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك

مقته، ويكون بمنزلة رجل قرَّبه ملك من ملوك الدنيا، وأقامه بين يديه فجعل يخاطب الملك، وقد ولاَّه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمنَة ويسرة، فهو لا يفهم ما يقول الملك، فما الظن بمقت الملك لهذا.

✉فما الظن بمقت الملك الحق المبين رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين.

حال العبد في الفاتحة

✉فينبغي بالمصلي أن يقف عند كل آية من الفاتحة وقفة يسيرة، ينتظر جواب ربِّه له، وكأنه يسمعه وهو يقول: " حمدني عبدي " إذا قال: (الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ).

فإذا قال: (الرَّحمن الرَّحيم) وقفَ لحظة ينتظر قوله: " أثنى عليَّ عبدي ".

فإذا قال: (مالكِ يومِ الدِّينِ) انتظر قوله: " مجَّدني عبدي ".

فإذا قال: (إيَّاك نَعبدُ وإيَّاك نَستعين) انتظر قوله تعالى: " هذا بيني وبين عبدي ".

فإذا قال: (اهدِنا الصِّراط المستقيم) إلى آخرها انتظر قوله: " هذا لعبدي ولعبدي ما قال ".

✉ومَن ذاق طعم الصلاة عَلِمَ أنه لا يقوم مقام التكبير والفاتحة غيرهما مقامها، كما لا يقوم غير القيام والركوع والسجود مقامها، فلكلٍّ عبوديته من عبودية الصلاة سرٌّ وتأثيرٌ وعبودية لا تحصل في غيرها، ثمَّ لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخُصُّها لا يوجد في غيرها.

✉فعند قوله: (الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ) تجد تحت هذه الكلمة إثبات لكل كمال للرب ووصفا واسما، وتنزيهه سُبحَانه وبحمده عن كلِّ سوء، فعلا ووصفا واسما، وإنما هو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، مُنزَّه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه.

✉فأفعاله كلّها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل ولا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت جلال، وأسماؤه كلّها حُسنى.

من معاني الحمد

✉وحمده تعالى قد ملأ الدنيا والآخرة، والسماوات والأرض، وما بينهما وما فيهما، فالكون كلّه ناطق بحمده، والخلق والأمر كلّه صادر عن حمده، وقائم بحمده، ووجوده وعدمه بحمده، فحمدُه هو سبب

وجود كل شيء موجود، وهو غاية كل موجود، وكلّ موجود شاهد بحمده، فإرساله رسله بحمده، وإنزاله كتبه بحمده، والجنة عُمِّرت بأهلها بحمده، والنَّار عُمِّرت بأهلها بحمده، كما أنَّها إنَّما وجدتا بحمده.

✉وما أُطيع إلا بحمده، وما عُصي إلا بحمده، ولا تسقط ورقة إلا بحمده، ولا يتحرك في الكون ذرَّة إلا بحمده، فهو سبحانه وتعالى المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد.

✉كما أنه هو الواحد الأحد، وإن لم يوحِّده العباد، وهو الإله الحقُّ وإن لم يؤلِّهه، سبحانه هو الذي حمِد نفسه على لسان الحامد كما قال النبي ﷺ: " إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه".

✉فهو الحامدُ لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه هو الذي أجرى الحمدَ على لسانه وقلبه، وأجراؤه بحمده فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسره.

✉فهذه المعرفة نبذة يسيرة من معرفة عبودية الحمد، وهي نقطة من بحر لُجِّي من عبوديته.

✉ومن عبوديته أيضا: أن يعلم أن حمده لربه نعمة مِنه عليه، يستحق عليها الحمد، فإذا حمده عليها استَّحق على حمده حمدا آخر، وهلَّم جرا.

✉فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلّها في حمد ربه على نعمة من نعمه، كان ما يجب عليه من الحمد عليها فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، ولا يُحصي أحد البتّة ثناءً عليه بمحتمده، ولو حمده بجميع المحامد فالعبد سائر إلى الله بكلِّ نعمة من ربِّه، يحمده عليها، فإذا حَمده على صرفها عنه، حمده على إلهامه الحمدُ.

✉قال الأوزاعي: " سمعت بعض قوَّال ينشد في حمامٍ لك الحمدُ إمّا على نعمةٍ وإمَّا على نقمة تُدفع".

✉ومن عبودية الحمد: شهود العبد لعجزه عن الحمد، وأنَّ ما قام به منه، فالرب سبحانه هو الذي ألهمه ذلك، فهو محمود عليه، إذ هو الذي أجراه على لسانه وقلبه، ولولا الله ما اهتدى أحد.

✉ومن عبودية الحمد: تسليط الحمد على تفاصيل أحوال العبد كلها ظاهرها وباطنها على ما يحب العبد منها وما يكره، بل على تفاصيل أحوال الخلق كلّهم، برِّهم وفاجرهم، علويهم وسفليهم، فهو سبحانه المحمود على ذلك كلّه في الحقيقة، وإن غاب عن شهود العبد حكمة ذلك، وما يستحق الرب

تبارك وتعالى من الحمد على ذلك والحمد لله: هو إلهام من الله للعباد، فمستقل ومستكثر على قدر معرفة العبد بربه.

✉وقد قال النبي ﷺ في حديث الشفاعة: " فأقع ساجدا فيلهمني الله محامد أحمده بها لم تخطر على بالي قط ".

📣عبودية (رب العالمين)

✉ثم لقول العبد: (ربِّ العالمين) من العبودية شهود تفرّده سبحانه بالربوبية وحده، وأنَّه كما أنه رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومدبِّر أمورهم، وموجدهم، ومغنيهم، فهو أيضا وحده إلههم، ومعبودهم، وملجأهم ومفزعهم عند النوائب، فلا ربَّ غيره، ولا إله سواه.

📝"الرب": الرب هو المالك المتصرف المعبود المدبر لشؤون خلقه المربي لهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

📝هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور.

📝(العالمين): قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالَم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلَم على خالقهم سبحانه وتعالى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته.

📝لِمَ يربينا الله -عز وجل-؟ لينقلنا من حال النقص إلى حال التمام؛ حتى نصلح لمجاورته في جنات النعيم - نسأل الله من فضله -.

📑قال السعدي تربيته لخلقه نوعان: عامة وخاصة:

🔵فالعامة: هي خلقه للمخلوقين ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم الدنيوية.

🔵والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف.

⇦وحقيقة التربية الخاصة: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

عنوان: عبودية (الرَّحمَن الرَّحيم)

ولقوله: (الرَّحمن الرَّحيم) عبودية تخصه سبحانه، وهي شهود العبد عموم رحمته.

وشمولها لكلّ شيء، وسعتها لكلِّ مخلوق وأخذ كلّ موجود بنصيبه منها، ولاسيما الرحمة الخاصَّة بالعبد وهي التي أقامته بين يدي ربه: أقم فلانا ففي بعض الآثار أن جبرائيل يقول كل ليلة أقم فلانًا، وأنم فلانا فبرحمته للعبد أقامه في خدمته يناجيه بكلامه، ويتملقه ويسترحمه ويدعوه ويستعطفه ويسأله هدايته ورحمته، وتمام نعمته عليه دنياه وأخراه فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء، كما أن حمده وسع كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) [غافر:7]، وغيره مطرود محروم قد فاتته هذه الرحمة الخاصَّة فهو منفي عنها.

الرحمة تنقسم قسمين: عامة – وخاصة.

فأما الرحمة العامة: فهي الشاملة لجميع الخلق (المؤمن والكافر والبر والفاجر)، فكل الخلق تحت رحمة الله عز وجل وهذه الرحمة لا أثر لها إلا في الدنيا، ولذلك الكفار في الآخرة يعاملون بالعدل ولا يعاملون بالرحمة.

وأما الرحمة الخاصة: فهي التي تختص بالمؤمنين والرحمة الخاصة تتصل برحمة الآخرة، فيكون لله على المؤمنين رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة توصلهم إلى جنات النعيم.

فأهل الإيمان لهم ذروة الرحمة، وأعلاها، وأعظمها على سائر الخلق، خصهم بها لطاعتهم امره واجتنابه معاصيه، وليس العاصي والشقي والمخالف لأمر الله، وحده من يحتاج الرحمة، بل الطائع والبر ايضا فقير لله في الدنيا والآخرة، لا غنى لنا عن رحمته طرفة عين، برحمته نرزق، وبرحمته يشفى مريضنا، وبرحمته تتسع لنا الحياة، وتفرج الهموم، وتندفع الكربات، وبرحمته تفتح الأبواب، ولولا فضل الله علينا ورحمته ما عاش أحد في الحياة، ولا طاب له بها مقام.

واما الآخرة فلن يدخل أحد الجنة الا برحمته سبحانه، قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا حتى يتغمدني الله بفضل ورحمة.

الله عز وجل عظيم الرحمة، ذو الرحمة الواسعة، رحمته تصل لكل عبد، لكن ليس معنى رحمة الله أن يعطيك هواك، رحمة الله أن يرفعك، يُجْرِي عليك أقدار تقطع التعلقات الدنيوية، وتطهر قلبك من الشركاء، وتقربك من مولاك، ترفع درجتك في الدنيا والآخرة، ليس كل الناس يستقبلون هذه الرحمة كما ينبغي.

عبودية (مالكِ يومِ الدين)

ويعطى قوله (مالكِ يومِ الدين) عبوديته من الذلِّ والانقياد، وقصد العدل والقيام بالقسط، وكفَّ العبد نفسه عن الظلم والمعاصي، وليتأمل ما تضمنته من إثبات المعاد وتفرَّد الربِّ في ذلك بالحكم بين خلقه، وأنه يومٌ يدين الله فيه الخلق بأعمالهم من الخير والشر، وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه كما قال تعالى: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الزمر:75].

ويروى أن جميع الخلائق يحمدونه يومئذ أهل الجنة وأهل النار، عدلا وفضلا، ولما كان قوله (الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ). إخبارا عن حمد عبده له قال: حمدني عبدي.

معنى الثناء التمجيد

ولما كان قوله (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) إعادة وتكريرا لأوصاف كماله قال: " أثنى عليَّ عبدي "، فإنَّ الثناء إنَّما يكون بتكرار المحامد، وتعداد أوصاف المحمود، فالحمد ثناء عليه، و(الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) وصفه بالرحمة.

ولما وصف العبد ربه بتفرُّده بملك يوم الدين وهو الملك الحق، مالك الدنيا والآخرة؛ وذلك متضمِّن لظهور عدله، وكبريائه وعظمته، ووحدانيته، وصدق رُسله، سمَّى هذا الثناء مجدا فقال: " مجَّدني عبدي " فإن التمجيد هو: الثناء بصفات العظمة، والجلال، والعدل، والإحسان.